

قراءة تحليلية نقدية في تداعيات الاستشراق على المجتمع الاسلامي وسبل مواجهته

عامر فاضل حسين

amerfath@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة الاستشراق بوصفها مشروعاً سياسياً ومعرفياً أسهم بشكل واضح في تكوين تصورات غريبة عن الدين الاسلامي والمسلمين، وسعى الى التأثير في البنية الثقافية والاجتماعية للمسلمين، ويستعرض البحث شيئاً من المراحل التي مر بها الخطاب الاستشراقي والتغيرات التي صادفته والانتقالات التي انتجت تلك الدراسات حتى وصل إلى الذروة في قمم الأنماط المعاصرة التي هو عليها الآن، كاشفاً عن المسالك التي اعتمدها لتشويه صورة الاسلام، وتكريس التبعية الفكرية والحضارية، كما يحلل تداعيات وآثار هذا الخطاب على المجتمعات الشرقية، سواء على مستوى الهوية والانتماء أو في مجالات التعليم والسياسة والإعلام، مبرزاً تظاهر التأثير والارتباك في الفكر الإسلامي المعاصر، ويهدف البحث الى تقديم قراءة نقدية للخطابات الاستشراقية، مسلطاً الضوء على نقاط ضعفه وتناقضاته، مؤكداً على أهمية استعادة الذات الحضارية للأمة من خلال تعزيز الوعي النقدي وتطوير المناهج البحثية في العالم الاسلامي، وبناء مشروع معرفي جديد يقترح جملة من السبل العلمية التي تُعد لمواجهة تداعيات الاستشراق، من بينها: اعادة قراءة التراث الاسلامي برؤية تجديدية وتطوير الخطاب الاعلامي والثقافي الاسلامي وتفعيل دور المؤسسات العلمية والبحثية في تعزيز الهوية ومقاومة التشويه الممنهج.

الكلمات المفتاحية : الاستشراق، الآثار والتداعيات، سبل المواجهة

A critical analytical reading of the repercussions of Orientalism on Islamic society and ways to confront it

Amer Fadhil Hussein

University Mustansiriyah , College of Education

Abstract

This scholarly inquiry engages with the concept of Orientalism as a dual political and epistemological endeavor that has profoundly influenced Western interpretations of Islam and its adherents. It investigates the mechanisms through which Orientalism has aimed to affect the cultural and social frameworks of Muslim communities. The analysis chronicles the various phases of evolution that Orientalist discourse has undergone, emphasizing the significant transformations and shifts that have led to its present-day manifestations. It reveals the methodologies utilized to misrepresent Islam and perpetuate intellectual and civilizational subservience. Moreover, the research scrutinizes the ramifications and repercussions of this discourse on Eastern societies, particularly regarding aspects of identity and belonging, as well as its impact on education, politics, and media. It accentuates the discernible ambiguities and influences permeating contemporary Islamic thought. The objective of the study is to provide a critical examination of Orientalist discourses, illuminating their inherent weaknesses and contradictions. It underscores the necessity of reclaiming the civilizational identity of the Muslim Ummah through the advancement of critical consciousness, the establishment of research methodologies within the Islamic context, and the formulation of a novel epistemological framework. This proposed initiative encompasses various scientific strategies to address the

implications of Orientalism, including the reinterpretation of Islamic heritage through an innovative lens, the enhancement of Islamic media and cultural narratives, and the activation of the role of academic and research institutions in fortifying identity and combating systematic misrepresentation.

Keywords: Orientalism, effects and repercussions, ways of confrontation

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد... يُعد من أولويات الدين الإسلامي منذ بداية تجليه ونشأته الانفتاح على العالم كله؛ لتحقيق غاياته والسير نحو بلوغ هدفه الأسمى؛ ليرتدي الناس من خلاله وشاح الهداية والصلاح والذي لا يتحقق إلا من خلال سيادته على العالم وإظهاره على الدين كله، وهذا ما صرح به القرآن الكريم إذ قال تعالى: " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" (التوبة، 33)، الأمر الذي أبرز خطورته بنظر أعدائه وأستقر خصومه حتى أمسوا يعدون العدة والعدد لمواجهة والحيلولة دون بلوغه مناه عن طريق المجابهة السياسية والعسكرية من جهة وضربه من الداخل للتشكيك بأحقية ما يدعوا إليه من عقائد وأحكام وقوانين حاكمة من جهة أخرى، ومن هنا بدأت رحلة الحركات الفكرية المعادية له ومنها ما في الغرب فباتت تتشكل فرق ولجان من شأنها دراسة العقيدة الإسلامية، وما يتمتع به معتققي هذا الدين من مبادئ ونقايلد وأخلاقيات وموروثات دينية وقيمية؛ من أجل نقدها والتجريح به محاولة منهم لتحريفه وتشويه صورته، فشيدت مراكز مختصة لتحقيق هذا الغرض والتي أطلق عليها فيما بعد بمراكز الاستشراق نسبة إلى اختصاصها بدراسة الثقافات الشرقية، وما زالت هذه المراكز تتطور حتى صارت علماً يهتم بدراسة أحوال الشرقيين وما يحيط بهم من ثقافة واعتقاد وعادات وغيرها وأمست له مدارس ومناهج، تسعى للجمع بين الدفاع عن الديانات المناهضة للإسلام والقضاء على الدين الحنيف في محاولة بائسة منهم لمنع انتشاره وإيقاف تقدمه، وعلى الرغم من فشل هذا المخطط بالجملة، لكنه في الواقع نجح بإثارة العديد من المشاكل وبث الكثير من الشبهات في المجتمع الإسلامي حتى أثرت فيه بشكل ملحوظ (عبدالجليل، 2022م، الصفحات 39-43)، وما كان ذلك إلا من خلال بعض القواعد التي أصبحت أجندة لتلك القوى التي سعت لتهيئة الأرضية الملائمة لقبول هذه الأفكار وما تنتج عنها من سموم، أو من خلال بعض المتطفلين الذين يعتبرون أنفسهم رواد الأمة وعلمائها وهم أولئك المتأثرون بالفكر الغربي وعمل المستشرقين حتى عدوا مخططات هذه المراكز اهتماماً وتتبعهم الزلات ودراساتهم لتاريخ الشرق والبحث في حضارته وزج أفكارهم في طيات كتاباتهم عنه تعاوناً، وهذا ما صرح به نجيب العقيلي، إذ قال: "وإذا كنا لا نفرق بين أن ينجلي لنا تراثنا ويحتل مكانته من الحضارة الإنسانية على أيدي العرب أو بالتعاون مع المستشرقين، فقد اعترفنا لهؤلاء بفضلهم ونشرنا في الناس وهو بعض حقهم علينا" (نجيب، 1964م، صفحة 8) مع إن المتتبع لمحاولاتهم المريعة يرى بكل وضوح عدائيتهم التي يفصح عنها تهجمهم العلني والمبطن على الدين الإسلامي، وينكشف له تغذيتهم السلبية للمجتمعات الإسلامية وإضافتهم عليها بما يشين إلى الإسلام في شتى المجالات ومختلف الجوانب على مستوى الدين والسياسة والاقتصاد والفكر والثقافة وغيرها، وما سيتم التعرض إليه في هذا البحث إن شاء الله تعالى شيئاً من تلك القضايا مع التركيز على بعض الآثار السلبية التي خلفها الفكر الاستشراقي على الدين الإسلامي والأمة الإسلامية وسبل مواجهتها، وبهذا كان الكلام عن هذا الموضوع في مبحثين كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

أسئلة البحث

السؤال الرئيسي: ما أبرز تداعيات الاستشراق على المجتمع الإسلامي، وما السبل الممكنة لمواجهة تأثيراته على الهوية والثقافة والفكر الإسلامي؟.

الأسئلة الفرعية:

- 1- ما مدى أهمية التعرف على امكانيات الاستشراق في مواجهته؟.
- 2- ما أهم تأثيرات منتجات مراكز الاستشراق على المجتمع المسلم؟.

3- ما الاستراتيجيات المقترحة لتعزيز المناعة الثقافية والفكرية في وجه الاستشراق المعاصر؟.

أهداف البحث:

- 1- التعرف على السبل التي اعتمدها المستشرقون في مواجهة المجتمع الاسلامي.
- 2- الوقوف على خطورة مراكز الاستشراق ومدى تأثيرها على الجوانب المختلفة فيما يخص حياة المجتمع الاسلامي.
- 3- تسليط الضوء على بيان رؤية الغرب عن الدين الاسلامي ودور الاستشراق في تكوين ذلك.
- 4- التطرق إلى القواعد التي مهدت للاستشراق في المجتمع الاسلامي، لما في ذلك من ضرورة لأخذ الحيطة والحذر منهم.
- 5- التركيز على الوسائل الناجعة في مواجهة الاستشراق ومنها تقوية المؤسسات البحثية الاسلامية من أجل الاطاحة بغايات الاستشراق وإفشال مخططاته.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي، حيث يتم تحليل الخطاب الاستشراقي في ضوء المفاهيم المعرفية والسياسية ومراحل تطوره، كما ويعد هذا المنهج وصفيًا لأنه يوظف في عرض أبرز تداعيات الاستشراق وسبل مواجهته.

المبحث الأول : الآثار السلبية للفكر الاستشراقي على الأمة الإسلامية

إن من الأركان الأساسية لمجابهة أي عدو تكمن في التعرف على مواطن قوته وأساليبه في التفكير والادوات التي يستعملها حين المواجهة، لاسيما إذا كان يحاول أن يوظف الفكر ويستغل موارده العلمية في سبيل بلوغ ما يربو إليه من غايات وأهداف، وخاصة إذا كان ممن يركب مطايا الخائنين، ويعتمد مسالك المتلونين ويفرط بالأمانة العلمية ويعتمد في حربه على الذين يقتاتون على فتات الافتراء وبث الشبهات، وبذلك سوف يتبين أن مثل هذا العدو بحسب امكانياته هو الأخطر على من يواجهه؛ وحينئذ لابد أن تُعد له العدة الملائمة لإيقاف تمدده ومنع نفوذه، التي لابد أن تكون متسمة بالشمولية والتنوع الثقافي؛ لأنها بذلك ستصبح قادرة على سد كافة المنافذ أمامه ومن كل الجهات؛ كون تفاعل الفرد والجماعة مرهون بذلك (حميد، 2025م، صفحة 267)، ومن هذا المنطلق ينبغي اتخاذ موقف إسلامي حازم في مثل هذا التحدي، وسيتبين إن شاء الله تعالى بحسب ما يأتي إن من أبرز التيارات المعادية للإسلام هو الاستشراق؛ لما له من تداعيات وآثار سلبية على الساحة الاسلامية وهذا ما ستبينه القراءة التي يتضمنها هذا المبحث حيث دراسة هذه التأثيرات على المجتمعات الإسلامية من خلال الوقوف على آثاره السلبية، والتي منها:

أولاً : الآثار السلبية للفكر الاستشراقي في المجال الديني:

يعتبر الجانب العقائدي من أهم المجالات التي كانت محل اهتمام المستشرقين في دراستهم لموراث المسلمين في المنطقة؛ باعتبار خطورته وتخوفهم من تأثيره بقواعدهم الشعبية؛ ولذلك استغرق الاستشراق في البحث عن الوسائل التي يمكنها المساهمة في هدم العقائد الاسلامية او العمل على تشويه صورتها على أقل تقدير، وهكذا تفرغ عدد من المفكرين الغربيين للتخصص في هذا المجال وإنشاء مراكز دراسات تخصصية بهذا الشأن يكون من أولوياتها البحث عن أنجح الوسائل التي تساعد على نقد الدين الاسلامي والإضرار به والتشكيك بأصوله، وقد نمت هذه المراكز حتى بلغت اعلى مراحل التطور في الوقت الراهن، فكونت جداراً سميكاً تتألف من مجموعة أفكار سوداوية جمعتها عن الإسلام (صلاح، 2009م، صفحة 47)، وقد نجحت بالفعل في إثارة العديد من المشاكل المناهضة للدين ومساائله العقائدية، الأمر الذي شغل فكر الكثير من علماء المسلمين الذين جندوا أنفسهم للرد على الشبهات التي انبثقت نتيجة لوجود الحركة الاستشراقية ودفعتهم لاتخاذ موقف الدفاع، الأمر الذي ترك أثراً على الفكر الإسلامي حتى بات يوصف بصبغته الدفاعية، مما أدى إلى إبعاد علماء الإسلام عن التفرغ للولوج في مجال الدراسات العلمية بشئى الأمور الدينية وأثنتهم عن السعي إلى حل قضايا الأمة المعاصرة وإيجاد الحلول الناجعة للمشاكل التي تواجه المسلمين، هذا وقد أسهمت حركة الاستشراق في تحقيق الانسلاخ العقائدي عند عدد معتد به من الأفراد وخصوصاً أولئك الذين أكملوا دراساتهم الجامعية في الدول الغربية أو الذين كان لهم اتصال بتلك المؤسسات العلمية؛ حتى اثرت بقيمهم الحضارية المنبثقة عن هذه العقيدة إلى أن باتوا يدعون إلى العلمانية ويتعلقون بالثقافة الغربية وأصبحوا يعانون من داء احتقار الدين والاشمئزاز من المتدينين (سرايب، 2021م، صفحة 52).

وفي الوقت نفسه نجح الفكر الاستشراقي بتحقيق أخطر الآثار التي ترتبت عنه، والتي تمثلت بتشويه صورة الدين الإسلامي بنظر المجتمعات الغربية، ولقد ساعد ضعف الخطاب الديني الموجه إلى دول الغرب في إيصالهم لهذه النتيجة، وترك هذا الأمر الخطير

للإستشراق حيث يرسم صورة للإسلام كما يحلو له بنظر المجتمع الغربي؛ وبذلك تم تحقيق أعتى أهدافهم الذي يكمن في إخفاء حقيقة الاسلام عن الساحة الغربية خوفاً من تأثيره بشعوب تلك المنطقة واستعمال هذا الأمر كأداة استخدمها في خوضه حرب فكرية تصبو إلى منع انتشار الإسلام في العالم؛ ليتم التعقيم على مثقفيه وتزويدهم بمعلومات مظلة عن الإسلام؛ لإبعادهم عنه كدين وحضارة، ومن الدراسات التي اهتمت بها مراكز الاستشراق، دراستها أحوال الفرق والمذاهب الاسلامية للنيل من وحدة المسلمين وتمزيق لحمتهم، واطهار الاختلافات العقائدية والفقهية بين المسلمين وفك الروابط بينهم؛ لكي لا يبقى ما يميز هذا الدين عن غيره من الديانات الأخرى علاوة على ذلك جعل الاستشراق جانباً كبيراً من جهوده واهتماماته نحو دراسة أحوال الأقليات غير المسلمة ووضعها العام في المجتمعات الإسلامية وطريقة تعامل المسلمين معهم، ودورها المؤثر في الثقافة الإسلامية، إلا إنه كعادته حاول تضخيم حجم هذه الأقليات وتعظيم دورها في الأوساط الإسلامية وبناء حضارة المسلمين؛ للتقليل من شأن أبناء الدين الإسلامي العلمي، الأمر الذي يوحي بأن الحضارة التي نسبها المسلمون إلى أنفسهم ليست هي من صنعاتهم أو من مخرجاتهم الثقافية، إنما هي من نتاج هذه الطوائف والأقليات وأن النتائج الفكرية التي شيدت الحضارة الإسلامية كانت ومازالت من صنع أرباب الديانات الأخرى القانطين في هذه المنطقة، أضف إلى ذلك تعمد إظهار هذه الثلة بصورة المجتمعات المضطهدة في العالم الإسلامي، لما تتركه هذه التدايعات من أزمات نفسية تورثها مثل هذه التغذية الفكرية على هؤلاء الاتباع والتي من شأنها تشجيعهم على التمرد وإثارة الفتن والاضطرابات داخل المجتمع الإسلامي، واستعمال ذلك كوسيلة تعتبر من وسائل الاستشراق التي يطمح من خلالها زعزعة الاستقرار في الداخل وإضعاف تلك المجتمعات ونشر النزعة الفئوية لدى أبناء هذه الأقليات وتنمية الصراع بينهم وبين المسلمين لغرض الوصول إلى تأسيس فكر قومي مناهض للفكر الإسلامي (سرايب ١، 2021م، الصفحات 28-31).

ثانياً : الآثار السياسية للاستشراق في المجتمع الإسلامي:

لقد نشأ الاستشراق وتطور في ظل الصراع الحضاري الذي يقوده الغرب ضد الإسلام كواحد من أهم اسلحته الفكرية الموجهة للإطاحة بهذا الدين وقد واكب هذا الأمر ممارسته دور صاحب والممول المرتبط بالحركات الاستعمارية والداعم لها، وقد ركز الاستشراق على خدمة الحركة الاستعمارية في أوروبا من خلال توظيف جميع طاقاته الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وتقديم خبراته عن أوضاع العالم الشرقي التي أنشأتها دراساته المستفيضة عن أحوال المنطقة وكل ما يرتبط بها من ثقافات وعراف وعادات وتقاليد وامكانات؛ لتسهيل عليه مهمة السيطرة على بلدان المسلمين وشعوب تلك المناطق وتسهيل طريقة التعامل مع أهل هذه البلاد المستعمرة، إلا إنه وعلى الرغم من تعدد مراحل الاستعمار وهيمنته على الدول الشرقية غير أنه في القرنين الأخيرين قد بلغ أهم هذه المراحل وأخطرها على المستوى الفكري والسياسي ومدى تأثيرهما على القواعد الجماهيرية الإسلامية؛ إذ لم ينحصر دور الاستعمار فيها بنهب خيرات هذه البلدان المحتلة فحسب؛ بل اتجه إلى إحداث تغيير في آلية التفكير السياسي لدى المسلمين والتخلي عن النظم الإسلامية وإجبارهم على تبني النظم السياسية الغربية، وهذا بطبيعة الحال دور فكري هام قام به الاستشراق السياسي الذي نقد النظم السياسية الإسلامية ووصفها بالرجعية والجمود وعدم الصلاحية، وكان في الوقت نفسه يروج لسياسة الغرب ويلمع صورته ويحاول أن يبين محاسن نظمهم ويزينها في أنظار المسلمين؛ بل وطالما حاول فرض قوانينه بالقوة في كثير من الأحيان وأعدّ من بين المسلمين علماء تابعين للاستشراق يروجون لنظرياتهم وينشرونها بين المسلمين (سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، 2002م، صفحة 45)، ويحاولون استغلال كل ما يمكن اعتباره فجوة ونقطة ضعف وإن كانت مختلفة وليست حقيقية كنصرة الأقليات؛ ليكونوا منها ذريعة تفتح آفاق التدخل لهم بشؤون هذه الدول تحت شعار تقديم العون السياسي اللازم لمساعدة هذه الأقليات على تحقيق استقلالها عن الأمة الإسلامية وتمهيداً للانفصال عنها كما حصل في تمكين الصهيونية من إعلان دولة مستقلة على حساب دولة فلسطين (سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، 2002م، صفحة 46).

ثالثاً : الآثار الاجتماعية للفكر الاستشراقي في المجتمع الإسلامي:

إن من الاهداف الاجتماعية الواضحة التي أخذت حيزاً من تفكير المستشرقين والتي من أجلها وجهوا جانباً لا يستهان به من بحوثهم التخصصية لدراسة أحوال المجتمع الإسلامي ليتعرفوا من خلالها على أحوال المسلمين المختلفة وعاداتهم الاجتماعية وطبيعة مجتمعهم حيث وضعت على إثرها خططهم التي استهدفت إحداث تغييرات اجتماعية من جهة ملاحظة مكونات تلك البنية وتشخيص مواطن القوة والضعف فيها؛ ليسهل عليهم اختراقها واعمال آلياتهم التي من شأنها تغييره بالتدريج وتحويله إلى مجتمع غربي بصبغة إسلامية قابلة لنزع ثوبها متى حان الوقت المناسب او في حال قررت تلك التيارات أن الوقت قد حان لسيادة القيم الغربية وتحويل

النظم الاجتماعية الإسلامية إلى غربية بامتياز، مركزة على وضع ركائز علمية منطلقة من وعيها بطبيعة المجتمعات الإسلامية التي تسعى إلى عزل المسلم عن قيمه الدينية الاجتماعية وإبعاده عن أغلب عاداته وتقاليده التي تربي عليها وتأسس له عادات بدلية وتقاليده جديدة توجهه نحو حياة تتناسب ورغباتهم، ومن هنا بدأت مرحلة تطبيق المخططات انطلاقاً من إثارة الشبهات حول تعاليم الإسلام فيما يخص المقام وتشوية صورة ما يدعو إليه والتشكيك بالآثار المترتبة على تعاليمه الاجتماعية، ثم تقديم النظم الاجتماعية الغربية بصورة مثالية وإن كانت لا تتفق مع الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المواطن في الغرب لكثرة ما تشتمل عليه من مغالاة في تصوير محاسنهم، ولقد نجحت هذه الحركة بالفعل في أحداث العديد من التغييرات في المجتمع المسلم من خلال تأثير شريحة لا يستهان بها من المسلمين بالبدائل التي تم طرحها من قبل مراكز الاستشراق، الأمر الذي أثر سلباً على الأطر السلوكية المجتمعية (العقيقي، المستشرقون، 1964م، صفحة 53).

رابعاً: الآثار الاقتصادية للفكر الاستشراقي في المجتمع الإسلامي:

لقد امتدت آثار الفكر الاستشراقي حتى طالت الجانب الاقتصادي في حياة المسلمين في الآونة الأخيرة، حيث وقعت الدول الإسلامية تحت طائلة تأثير نظامين اقتصاديين حاكمين في الدول الغربية والذان لا يجتمعان بحال حيث عرفا بالتناقض، وهما: النظام الاشتراكي والرأسمالي، وقد لعب الاستشراق دوراً مزدوجاً من خلال جمعه بين الهجوم على النظام الاقتصادي الذي تدعمه النظرية الإسلامية في الاقتصاد ونقده واتهامه إياه بالعجز عن حل المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع الإسلامي، وبين تصدير تلك النظريات الاقتصادية الغربية إليه؛ لتمثل دور البديل عن النظام الاقتصادي الإسلامي، وبذلك يكون قد تسبب هذا الغزو الفكري الاقتصادي الذي استهدف العالم الإسلامي بانشطار نظامه الاقتصادي بحسب هذين النظامين وضياح الوحدة الاقتصادية للمسلمين، ومن هنا أعلن تبعيته الكاملة لأحدهما حتى بات ذلك واحداً من الأدوات التي اسهمت بتفتيت العالم الإسلامي وتضعيفه، ووحدوا من الأسباب الرئيسية المنتجة لقطع التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، ولم يقتصر الأمر على هذا الجانب؛ بل تعداه حتى أمسى أحد عوامل القطيعة الاجتماعية بين أبناء الأمة الواحدة، فأصبح التعامل التجاري بين الأفراد والمؤسسات متعسراً يلجأ إليه المسلم في تعاملاته التجارية والزراعية وأمثالها بسبب الاضطراب ليس إلا، ومن هنا ضاعت حرية الملكية الشخصية من جهة، وشاع الاستغلال وحب الأنا من جهة أخرى؛ وبذلك ضاعت القيم الأخلاقية التي أكد عليها الدين الحنيف في التعامل مع الآخرين، حيث بنَّه في روح المسلم القيم الإنسانية الراقية ذات المضامين العالية التي تتسم بالرحمة وعدم استغلال الآخر وحب النفع والخير للجميع التي ارتبطت بشكل واضح بالعقيدة الإسلامية، التي ظهرت في مصادر تشريعه، فالرافاهية الاجتماعية حسب المبادئ الإسلامية لا تقاس بمقياس مادي، وإنما من خلال الدعوة إلى التوامة بين الكسب الحلال وبين الأجر والثواب الذي يغنمه الكاد على عياله كما نقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ بَاتَ كَالَا مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ بَاتَ مَغْفُورًا لَهُ) (الحرالعاملي، وسائل الشيعة إلى مدارك الشريعة، 1398هـ، صفحة 13)، وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (العبادة سبعون جزءاً أفضلها جزء طلب الحلال) (الحرالعاملي، وسائل الشيعة إلى مدارك الشريعة، 1398هـ، صفحة 13)، ولعل هذا الأمر يعتبر أبرز ما يميز النظام الاقتصادي في الإسلام عن غيره من الأنظمة الاقتصادية حيث يجمع بين الربح المادي الدنيوي والمعنوي الأخروي الذي يظهر من خلال حثه الناس على العمل ودعوتهم للتكسب، فضلاً عما يميزه عن غيره من خلال خطاباته الموجهة لهم حول ترغيبهم بالإتفاق في سبيل الله تعالى تقرباً إليه وحده جل وعلا، كما جاء في كتابه العزيز إذ قال سبحانه وتعالى: " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء الله واسع عليم " (سورة البقرة، 261)، ولقد نجح الاستشراق مرة أخرى في وصوله لغاياته كما هو واضح من خلال قضائه على الكثير من هذه القيم، ونجاحه بالتفكيك بين المعاني الروحية والمكاسب المادية؛ وبذلك فقد المسلمون الكثير من مزاياهم، وخسروا مكانة نظريتهم في الاقتصاد عالمياً بعد أن اضاعوا ما كان يصبوا إليه دينهم، بل وعزيمتهم في العمل بعد إهمالهم هذه الجنبه الروحية في العمل واسقاط عنواني الأجر والثواب من قواميسهم الوظيفية ففقدوا بذلك محركيهم الدينية نحو العمل، وأصبحت بلادهم سوقاً واسعة للمنتجات الغربية (العقيقي، المستشرقون، 1964م، الصفحات 81-84).

خامساً: الآثار السلبية للفكر الاستشراقي في المجال الثقافي والفكري:

مما لا يخفى على كل باحث أو مهتم ما يشكله المجال الثقافي والفكري من خطر على تغيير أحوال الأمم وثقافتاتها من خلال التلاعب بالمفاهيم البنائية الفكرية والمنظومة العقائدية لها، وهذا ما أدركه الاستشراق وعمد إليه من خلال الخطوات التي اتبعها

لإحداث التغيير الذي يروجوه في الشرق وانعكاساته على الحياة الفكرية في المجتمع الإسلامي الذي طالما جعله من الأولويات في دراساته المختصة بأحوال سكان هذه المنطقة، فجرت محاولاته الحثيثة للوصول إلى ذلك لا سيما من خلال نقله الأطاريح العلمية والنظريات الفلسفية التي يتبناها إلى الساحة الفكرية الإسلامية التي نجح فعلاً بترويجها في المنطقة خلال القرنين الأخيرين بعد أن تهيأت لها الظروف المناسبة ووجدت لها مكاناً في الحياة الثقافية للمسلمين، وبالنظر إلى تعدد هذه التيارات والمدارس الفلسفية واختلاف قراءاتها تنوعت أشكال الغزو الفكري وتعددت الاتجاهات الفكرية وتزايد عدد المذاهب التي ازدحمت بها الساحة الأيدولوجية في المجتمع الإسلامي والتي سيطرت على مساحات واسعة من ذهنية المفكرين ونتائج المثقفين في العالم الإسلامي، وعليه يعتبر الفكر الاستشراقي من أشد أنواع الفكر الذي تأثرت به الرؤية الإسلامية الضالة، فالمستشرقون كتلة من العلماء الباحثين في أحوال المسلمين وإرثهم الثقافي، الذين تعمقوا فيها أصبحوا قادرين على تشخيص الأساليب المساعدة على انجاح الغزو الفكري الذي يتبناه الغرب والذي يسهم في انفاذه إلى الفكر الإسلامي والعربي، لمساندة واضحة من الاستعمار الذي لعب دوراً كبيراً في انجاح هذا المشروع وتغيير وجهة الثقافة الإسلامية وتغريب العالم الإسلامي وإرجاعه مسخاً للحضارات السالفة كما كان عليه (النملة، 2012م، صفحة 27)، وقد اتخذ المستشرقون من التشكيك في مصادر التشريع الإسلامية كالكتاب والسنة ركناً وثيقاً للإضرار بالإسلام والاطاحة به وتسقيط قيمة هذه المصادر من خلال انتهاجه المسالك التي تم ذكرها قبل قليل تحت ذريعة الترويج لفكرة تأسيس منهج علمي جديد اسمه منهج النقد التاريخي والأدبي، مع تسليط الضوء على ضرورة استحداث مناهج أخرى نابعة من صميم تلك المذاهب قادرة على فهم النصوص الدينية عن طريق قراءتها قراءة حديثة تتسجم مع مراد الاستشراق في الوقت الراهن وكان من بين أبرز هذه المذاهب هو المذهب الحداثي (العقيقي، المستشرقون، 1964م، صفحة 101).

المبحث الثاني : سبل مواجهة الفكر الاستشراقي:

لقد كان للفكر الاستشراقي في القرنين الأخيرين قوة دفع ورواج واستقطاب أثارت اهتمام رجال الفكر الإسلامي بما اختلعه المستشرقون عن الإسلام في كتاباتهم، سواء في الكتب والموسوعات أو المجالات، أم من خلال الشبهات التي أذاعوها حول مصادر الدين الإسلامي أو التي وجهوها إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وتعاليم الدين وتشريعاته، ومن هذا المنطلق أصبحت مواجهة تحديات المستشرقين أمراً ضرورياً لا بد منه؛ للحفاظ على الهوية الإسلامية وعقائد الإسلام وتعاليم الشريعة، ومن أجل الإبقاء على مفاتن التقاليد والاعراف الشرقية التي تضمنت مزايا أخلاقية عدة التي تميزت من خلالها شعوب المنطقة عن غيرها، تستلزم تبني تكوين موقف إسلامي واضح من الاستشراق وتداعياته ومراعاة مجموعة من الحقائق تبدأ من اعتباره ظاهرة فكرية ممتدة منذ تأسيسه ومستمرة باستمرار الصراع بين الغرب والشرق كحضارتين مختلفتين على مستوى الدين والسياسة والفكر وعلى إثر ذلك يفترض على المسلمين أن يتعاملوا مع هجمات الاستشراق ومدى تأثيره على الثقافات الشرقية بواقعية أكثر وأن يعمدوا إلى مواجهته بشكل جدي يوازي ما يتمتع به من قوة وما يحمله من روح عدائية تهدف إلى القضاء على كل ما يثري الساحة الإسلامية من سجايا وسمات روحية وعلمية عن طريق إيجاد سبل ناجعة متقابلة تكون ندا له لنتمكن من تحقيق الغرض، منها:

أولاً: تقوية عقيدة المسلم من خلال غرز مفاهيمها وبيان مدى أهميتها والآثار المترتبة عليها، فإن لها الدور المهم في تقوية عزيمة الفرد وصناعة الإنسان بكل ما يحمل من معنى، فهي بحسب ما وصفت أساس صلاح كل مجتمع بكل مكوناته وخاصة فيما لو كانت ثابتة بناءً على أسس منطقية وقواعد عقلية ودينية سليمة (خالد، 2024م، صفحة 163)، فهي قادرة على زراعة القيم الاجتماعية الأصلية في قرارة نفس الإنسان والسبيل إلى حمايته وتحصينه من كل انحراف.

ثانياً: تصدي جماعة من أهل الاختصاص في مختلف المجالات؛ من أجل الاطلاع على دراسات المستشرقين الصادرة من مراكزهم المخصصة لذلك وتحليلها بشكل دقيق وفهم مقاصدهم وإبعادها من بعد استيعابها مع تشكيل مراكز بحثية تضم الكفاءات العلمية التي يوثق بها ويعتمد عليها؛ للتعرف على طريقة تفكير المستشرق والقيام بمتابعة نتائج تلك الدراسات وحصرها حصراً شاملاً ودراساتها بدقة؛ من أجل الوقوف على مواطن الضعف فيها وتقديم دراسة مختصرة حولها على أن تختزل غاياتهم وما يرمون إليه؛ لتتضح الرؤية لدى المسلمين حول المستشرقين وإدعاءاتهم (زمانى، 2010م، صفحة 358).

ثالثاً: تسليط الضوء على المصادر التي يعتمد عليها المستشرقون في بحوثهم وكتاباتهم بحسب اختصاصاتهم المختلفة؛ لأن الوقوف على مصادر تغتفر الى الموضوعية في الطرح والتقييم من شأنه ان يُمكن المتابع من اكتشاف عدم انصاف هذا التيار في البحث

والتقويم؛ كونه غالباً ما يستقي معلوماته التحليلية من مصادر ومراجع لا تمثل عموم الاتجاه الذي يسعى لنقده أو الطعن به كالإسلام، ومنها ما يفقد صلاحية ما من شأنه أن يكون مصدراً للأحكام لدى المسلمين أنفسهم؛ لاحتوائه على ما يعارض الأفكار العقائدية والفقهية التي اشتهرت في الساحة العلمية أو تلك التي تبناها أغلب متكلمي وفقهاء المذاهب الإسلامية، بل وينبغي البحث عن المصادر الغربية عن الإسلام والتي لا تمت له بصلة من بين تلك التي اعتمد عليها بعض المستشرقين في طعوناتهم ككتاب ألف ليلة وليلة لكشفها وفضح أساليبه كما أشار لهذه الحقيقة بعض الباحثين المسلمين حيث وجد أن بعض المستشرقين يرجعون إلى مصادر من هذا القبيل، فيما اعتمد آخرون منهم على آراء مستشرقين سابقين قد أعماه التعصب، فنفتوا سمومهم فيما كتبوه من دون دليل يذكر سوى تقليدهم الأعمى لغيرهم (سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، 2006م، الصفحات 90-93).

رابعاً : فضح المغالطات التي طالما يعول عليها المتبنون لهذا المنهج للتغريب بالثقافة الإسلامية والاطاحة بها، أو للوقوف على مخالفتهم للواقع واكتشاف مجانبتهم للحق وفضح خطئهم في التطبيقات؛ وبذلك يتضح خطأ مخرجاتهم كنتائج توصلوا إليها عن طريقه، وكما هو حاصل فعلاً في الكثير من كتاباتهم في مجال العقيدة الإسلامية، الغير منصفة حيث تجلت فيها مخالفتهم الواضحة للقضايا البديهية والمسلمات اليقينية وعليه يمكن اعتبار محاولاتهم الدؤوبة في هذا الأمر متعمدة من قبلهم، غايتها تسقيط العقيدة الإسلامية والاطاحة بموارث المسلمين بنظر أتباع هذا الدين والمتأثرين به، وبذلك يتبين تدني التيار الاستشراقي وينكشف النقاب عن وجهه الذي توارى به منذ ولادته أمام المتابعين (سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، 2006م، الصفحات 164-185).

خامساً: لزوم نقد المنهج الذي تبناه المستشرقون في معالجة قضايا العقيدة الإسلامية وغيرها نقداً علمياً ووضع اليد على عيوبه، حيث يعتبر ذلك من أهم الأساليب التي تسقط الاستشراق بنظر المسلمين وتبين ضعته فإذا استطعنا تحقيق هذا الأمر سنتمكن واقفاً من استئصال الجذور العميقة التي غرزتها مراكز الاستشراق في نفوس بعض المغترين بهم من المسلمين واقتلاع الثمار المرة التي أنتجتها زراعاتهم في الساحة الإسلامية، وما يتم ذلك إلا من خلال ما مر وعن طريق التسليح بالعلم، فهو وسيلة حصانة كل طالب ومورد تسليح كل محارب بهذا المجال، وهو الأداة التي تهيء أرضية الحفاظ على البنية التحتية للفكر الحر والحي، حيث حماية وأمن الوعي الإسلامي الناضج المتكفل بحصانة كل أساليب الحماية والمواجهة في خضم مثل هكذا صراعات (العامري، 2025م، الصفحات 839-840).

سادساً : الوقوف على الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون في شتى المجالات التي كتبوا عنها ضرورة أن تشتمل عملية النقد على عرض الشبهات التي ذكروها والنظريات التي تبناها ومعالجتها بطريقة علمية بعيداً عن التهجم والتهكم حتى يكون هذا العمل عملاً علمياً مقبولاً من قبل مثقفي المسلمين وغيرهم؛ ويكون عوناً على تصحيح اتجاهات بعض المستشرقين وسبباً لإعادة نظرهم بأرائهم وفي نهاية الأمر سيكون هذا العمل بمثابة المعرف بالإسلام الحقيقي لمن يرغب بالتعرف عليه، وكما لا يخفى فإن العمل العلمي القائم على النقد السليم الخالي من العصبية سيحمل في طياته العمل البنائي الذي يأخذ الآخرين إلى اليقين، وسيدعّن له الجميع قطعاً، مع التركيز على المقولات التي ردها بعض المستشرقين في نقدهم لأقرانهم فإن انتقادات من هذا القبيل لها قيمتها المعرفية، بل لعلها الأبلغ في مقام النقد والمواجهة (زقزوق د، 1989م، الصفحات 11-15).

سابعاً : إنشاء مراكز تخصصية تعنى بالرد على شبهات المستشرقين وتعمل على كشف زيف ادعاءاتهم وتقوم بتنفيذ آراءهم الدخيلة على الإسلام، وبيان خطورتها على المجتمع الإسلامي على أن تضم أقساماً بعدد المجالات المستهدفة من قبل المستشرقين وعلى أن يكون الحظ الأوفر فيها من نصيب قسم العقيدة؛ باعتبارها المستهدف الأول من قبلهم مع ضرورة مراعاة بقية الجوانب والاختصاصات، كما وينبغي أن تقوم هذه المراكز بإصدار نشرات توعوية تسلط الضوء فيها على الغزو الفكري الذي يقوده الاستشراق ضد الإسلام، وتبين فيها حقيقة الغرب وموقفهم من الإسلام والدول الإسلامية، وفي المقابل تقوم بإصدار دراسات معمقة تتوافر على بيان الصورة الناصعة للإسلام وطبائع المسلمين وأخلاقياتهم وتوجيهها إلى المجتمع الغربي عبر مواقع إلكترونية وقنوات فضائية ومجلات عالمية للحيلولة دون تضليله وتعتيم الحقائق عنه (زقزوق م، 1989م، الصفحات 186-188).

الخاتمة : فيها نتائج وتوصيات

النتائج : لقد توصل الباحث من خلال بحثه الى نتائج مهمة فيما يخص الموضوع محل البحث، منها:

1. إن هناك تأثيرات واقعية ملموسة ومثبتة علميا لمراكز الاستشراق على الساحة الاسلامية.
2. إن تداعيات الاستشراق امتدت حتى أصبحت تمتاز بالشمولية لجميع مفارق الحياة التي تخص المسلمين في المنطقة وعلى الاصعدة كافة، الدينية منها والسياسية والاقتصادية وغيرها.
3. إن نتائج الدراسات الدقيقة الصادرة عن مراكز تخصصية من شأنها خدمة الاستعمار من حيث تقديمها التحليلات اللازمة التي تخدم قضيته، وكذلك تساعد في القضاء على موروثة الشرق وتغريب المنطقة.
4. ضرورة ايجاد سبل ناجعة لمكافحة وردع المد الاستشراقي وتداعياته في العالم الاسلامي لتحسين الأمة من شروره، ومن أجل الحفاظ على الهوية الاسلامية والتقاليد والاعراف الاجتماعية ذات القيمة الاخلاقية في العالم الشرقي.
5. إن من المهم جدا التعرف على منهج الاستشراق الذي يعتمد في دراساته وطريقة تفكيره وكشف الادوات التي يستعملها ويعول عليها لإنجاح مشروعه.

التوصيات:

1. الحث على الخوض في البحث عن تداعيات الاستشراق ومدى تأثيره على المنطقة بشكل تخصصي أكثر دقة من خلال تفصيل الجوانب التي ذكرت في تداعياته على المجتمع الاسلامي وجميع مفارق الحياة فيه.
2. فتح مراكز تخصصية تعنى بالاستغراب وبنفس الآليات التي اعتمدتها مراكز الاستشراق؛ لتشخيص مواطن الضعف عند المجتمعات الغربية ومحاولة اختراق ثقافتهم من خلالها والتأثير على الغربيين.

المراجع

- إدوارد سعيد. (2006م). *الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق* (المجلد الأولي). (د. محمد عناني، المترجمون) القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- (2006م). *الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق* (المجلد الأولي). (د. محمد عناني، المترجمون) القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- صلاح الجابري. (2009م). *الاستشراق قراءة نقدية* (المجلد الأولي). دمشق، سوريا: دار الاوائل.
- الشيخ محمد علي سرائب. (2021م). *القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية* (المجلد الأولي). كربلاء المقدسة: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية في العتبة العباسية المقدسة.
- الشيخ محمود علي سرائب. (2021م). *القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية* (المجلد الأولي). كربلاء المقدسة، العراق: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية في العتبة العباسية المقدسة.
- العقيقي نجيب. (1964م). *المستشرقون* (المجلد الثالثة). القاهرة: دار المعارف.
- القرآن الكريم، التوبة. (33).
- د. محمود حمدي زقزوق. (1989م). *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري* (المجلد الثانية). القاهرة: دار المنار.
- د.رشيد عمر و م.م. كوثر جبار و م. نور خالد. (2024م). *العقيدة ووظيفتها في ترسيخ القيم وصناعة الانسان*. مجلة المستنصرية للعلوم الإنسانية، صفحة 163.
- ساسبي الحاج سالم. (2002م). *نقد الخطاب الاستشراقي* (المجلد الأولي). بيروت: دار المدار الاسلامي.
- (2002م). *نقد الخطاب الاستشراقي* (المجلد الأولي). بيروت: دار المدار الاسلامي.
- سورة البقرة. (261).
- شلي الدكتور عبد الجليل. (2022م). *الاسلام والمستشرقون* (المجلد الأولي). القاهرة: دار الشعب.
- علي بن إبراهيم النملة. (2012م). *موقف المستشرقين من الحضارة الاسلامية بين الاستمداد والتأصيل* (المجلد الاول). الرياض: جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.
- كرار إبراهيم و أ.د. بشير ناظر حميد. (آذار 2025م). *مجلة آداب المستنصرية، العدد 109، صفحة 267*.
- م.م. نور نصر محمد العامري. (2025، 2، 12). *التوسعة الفردية في ضوء آيات القرآن الكريم (دراسة في آراء المفسرين والعلماء)*. مجلة كلية التربية الاساسية/ الجامعة المستنصرية، عدد خاص بنشر وقائع المؤتمر العلمي البحثي الدوري الثامن للباحثين من حملة الشهادات العليا، الصفحات 839-840.
- محمد بن حسين الحر العاملي. (1398هـ). *وسائل الشيعة الى مدارك الشريعة* (المجلد الأولي). طهران: دار الرازي.
- (1398هـ). *وسائل الشيعة الى مدارك الشريعة* (المجلد الأولي). طهران: دار الرازي.
- محمد حسن زماني. (2010م). *الاستشراق والدراسات الاسلامية لدى الغربيين* (المجلد الاول). (محمد نور الدين عبد المنعم، المترجمون) القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية.
- محمود حمدي زقزوق. (1989م). *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري* (المجلد الثانية). القاهرة: دار المنار.
- نجيب العقيقي. (1964م). *المستشرقون* (المجلد الثالثة). القاهرة: دار المعارف.
- (1964م). *المستشرقون* (المجلد الثالثة). القاهرة: دار المعارف.
- (1964م). *المستشرقون* (المجلد الثالثة). القاهرة: دار المعارف.

References

- Al-‘Amiri, N. N. M. (February 12, 2025). *Individual Expansion in Light of the Verses of the Holy Qur’an: A Study of the Views of Exegetes and Scholars*. *Journal of Basic Education College / Al-Mustansiriyah University*, Special Issue for the Eighth Periodic Scientific Research Conference for Postgraduate Researchers, pp. 839–840.
- Al-‘Aqqi, N. (1964). *The Orientalists* (Vol. 3). Cairo, Egypt: Dar al-Ma‘arif.
- (1964). *The Orientalists* (Vol. 3). Cairo, Egypt: Dar al-Ma‘arif.
- (1964). *The Orientalists* (Vol. 3). Cairo, Egypt: Dar al-Ma‘arif.
- (1964). *The Orientalists* (Vol. 3). Cairo, Egypt: Dar al-Ma‘arif.
- Al-Hurr al-‘Amili, M. b. H. (1398 AH). *Wasa’il al-Shi‘ah ila Madarik al-Shari‘ah* (Vol. 1). Tehran, Iran: Dar al-Razi.
- Al-Hurr al-‘Amili, M. b. H. (1398 AH). *Wasa’il al-Shi‘ah ila Madarik al-Shari‘ah* (Vol. 1). Tehran, Iran: Dar al-Razi.
- Al-Namlah, A. I. (2012). *The Position of Orientalists Toward Islamic Civilization: Between Borrowing and Originality* (Vol. 1). Riyadh, Saudi Arabia: Imam Muhammad ibn Saud Islamic University.
- Gaberi, S. (2009). *Orientalism: A Critical Reading* (Vol. 1). Damascus, Syria: Dar al-Awa’il.
- Ibrahim, K., & Hamid, B. N. (March, 2025). *Al-Mustansiriyah Journal of Arts*, (109), p. 267.
- Omar, R., Jabbar, K., & Khalid, N. (2024). *Faith and Its Role in Consolidating Values and Building Humanity*. *Al-Mustansiriyah Journal of Human Sciences*, p. 163.
- Said, E. (2006). *Orientalism: Western Concepts of the East* (Vol. 1, M. ‘Anani, Trans.). Cairo, Egypt: Ru’ya for Publishing and Distribution.
- Sassi, H. S. (2002). *Critique of Orientalist Discourse* (Vol. 1). Beirut, Lebanon: Al-Madar al-Islami Publishing.
- (2002). *Critique of Orientalist Discourse* (Vol. 1). Beirut, Lebanon: Al-Madar al-Islami Publishing.
- Shibli, A. (2022). *Islam and the Orientalists* (Vol. 1). Cairo, Egypt: Dar al-Sha‘b.
- Suraib, M. A. (2021). *The Holy Qur’an in Orientalist Studies* (Vol. 1). Karbala, Iraq: The Islamic Center for Strategic Studies, al-‘Atabah al-‘Abbasiyyah al-Muqaddasah.
- Suraib, M. A. (2021). *The Holy Qur’an in Orientalist Studies* (Vol. 1). Karbala, Iraq: The Islamic Center for Strategic Studies, al-‘Atabah al-‘Abbasiyyah al-Muqaddasah.
- The Holy Qur’an*, al-Baqarah, 261.
- The Holy Qur’an*, al-Tawbah, 33.
- Zamani, M. H. (2010). *Orientalism and Islamic Studies among Westerners* (Vol. 1, M. N. ‘Abd al-Mun‘im, Trans.). Cairo, Egypt: The General Authority for Government Printing Affairs.
- Zaqzouq, M. H. (1989). *Orientalism and the Intellectual Background of the Civilizational Conflict* (Vol. 2). Cairo, Egypt: Dar al-Manar.
- (1989). *Orientalism and the Intellectual Background of the Civilizational Conflict* (Vol. 2). Cairo, Egypt: Dar al-Manar.